التحليل الحجاجي للخطاب الشعري
"دراسة في أفعال الكلام عند سيرلSearle "

د. بوخشة خديجة
جامعة جيجل

يحلّل هذا البحث الشّعر الجزائري الحديث، تحليلا حجاجيا من وجهة نظر تداولية، بدراسة الأفعال الكلامية كما صنفها سيرل Searle بهدف الكشف عن الوظيفة الحجاجية التي يضطلع بها الخطاب الشعري.

قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسّعه "**أوستين**"Austin"في المحاضرات الإثني عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد" Harvard سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه "How to do think with words"، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى "Quand dire, c'est faire"[1]. "كيفية إنجاز الأفعال بالأقوال"إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين في دراسة استعمالات اللغة ، فتأسّست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، وطوِّرت بعد ذلك من طرف "سيرل" Searle".

أضفى **سيرل**"Searle" انتظاما أكبر على الأفكار التي تحرّاها **أوستين**Austin، واختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل "**سيرل** "Searle"" يعيد تصنيف أفعال الكلام، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقا للأفعال من جهة أخرى.

في إطار حديث "**سيرل**" "Searle" عن اتجاه الملاءمة أو المطابقة بين العالم والكلمات يربطها بالقصدية ويقول أنّها «الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم، وعلى غرار ذلك تبرز حقيقة أنّ هناك طرقا مختلفة من الحالات القصدية، وتربط الأنماط المختلفة من الحالات القصدية المحتوى الخبري بالعالم الواقعي، إذا صح القول، مع إلزامات مختلفة بالملاءمة، فيقال عن الاعتقادات والافتراضات إنها صحيحة أو زائفة استنادا إلى ما إذا كان العالم حقا هو الطريقة التي يمثلها الاعتقاد كوجود»[2]، فالهدف من الفعل الكلامي (الغرض الإنجازي) يوجد بين المحتوى القضوي لذلك الفعل والعالم الحقيقي.

تفترض العملية التواصلية القصدية طرفين أساسين هما المرسل والمتلقي، بيد أنّ «المقاصد أنواع: أولي يتجلى في المعتقدات، والرغبات التي تكون لدى المتكلم، وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأّنه يريد منه جوابا ملائما»[3]. فالحجاج يرتبط بالإنجاز والمتمثل في أثر القول على المتلقي، والحجاج مرهون بالقصدية ؛لأن الجمل تحمل معنى مقصودا مثل الوعد أو الحكم... وبالتالي تكون القصدية مصدر قوة الفعل الإنجازي وحجاجيته، كما أنّ الفعل التأثيري نتيجة عن الفعل الإنجازي المتصل بالمعنى والقصد معا. كما أضاف **سيرل**" Searle إلى مفهوم القصدية "مبدأ التعبيرية"Principe d'exprimabilité الّذي يقوم على دعائم فكرة جوهرّية، يمن أن نلخصها في: إنّ كلّ ما نريد قوله يمكن قوله[4].

أما اتجاه المطابقة فهو الطريقة التي يرتبط بها المحتوى القضوي مع العالم، واتجاهات المطابقة هي:[5]

أ/**من القول إلى العالم:** حيث يتحقق نجاح إنجاز الفعل في حالة تطابق المحتوى القضوي للفعل الإنجازي مع واقعة مستقلة حدثت أو تحدث في العالم الإنساني، كما يحدث عند الإخبار عن واقعة أو وصفها.

ب/ **من العالم إلى القول:** يتحقق نجاح الفعل في المطابقة بتغيير العالم ليطابق المحتوى القضوي للفعل الإنجازي، كما يحدث في فعل الوعد.

ج/ **اتجاه المطابقة المزدوج:** يتحقق النجاح في المطابقة بتغيير العالم ليطابق المحتوى القضوي مع إمكانية قيام الفعل الإنجازي والفاعل بدوره يسمح بتطويع المحتوى ليتلاءم مع العالم.

د/**اتجاه المطابقة الفارغ:** هنا لا توجد مشكلة في نجاح تحقق المطابقة بين المحتوى القضوي والعالم؛ لأنه عموما يقع القول مع افتراض حصول المطابقة قبل ذلك.

ربط **سيرل** "Searle" مفهوم القصدية ومطابقة الكلمات للعالم بمفهوم السببية؛ حيث يقول «السببية هي علاقة واقعية بين الأشياء والأحداث في العالم، وهي علاقة تتسبب من خلالها ظاهرة ما هي السبب بظاهرة أخرى هي النتيجة»[6]. فالهدف من الحديث عن مطابقة الكلمات للعالم أو مطابقة العالم للكلمات هو حجاجية القصد من الكلام.

تحدث **سيرل**"Searle" عن السببية القصدية؛ بل ويربط قدرة التمثيل للعقل بالعلاقات السببية؛ حيث يقول « أمرٌ جوهريٌ لبقائنا في العالم أن تتداخل قدرة التمثيل في العقل والعلاقات السببية بالعالم ويتواشجا بطريقة نسقية، والشكل الذي يتداخلان به هو السببية القصدية»[7]، فإما السبب هو تمثيل للنتيجة أو أنّ النتيجة هي تمثيل للسبب، واختلاف أسباب

ومقاصد المتكلم أثناء حديثه هو ما جعل "**سيرل**"Searle" يعدِّل تصنيف أستاذه "أوستين"Austin ويغيّر فيه.

كما قد يختلف الهدف من الفعل الكلامي -حسب سيرل""Searle" - على أنّه جعل المستمع يفعل شيئا، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئا وهكذا، فالهدف الإنجازي من "الأمر" و"الطلب" هو ذاته، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك، حيث هناك درجات متفاوتة من الشدة أو القوة ينجزها قول معين(أقترح عليك فعل كذا، أطلب منك فعل كذا، آمرك أن تفعل كذا)، فهي تتفق في الغرض الإنجازي، لكن يعرض كل قول بدرجة مختلفة حيث تتصاعد الشدة أو القوة من الاقتراح إلى الطلب إلى الأمر.

فقد ميّز "**سيرل**""Searle"بين أربعة أقسام من الأفعال الكلامية: فمن خلال الأمثلة الآتية:

1- "جون" يفرط في التدخين.
2- هل يفرط "جون" في التدخين؟
3- عليك أن تفرط في التدخين يا "جون".
4- الجو لا يطاق بتدخين "جون" المفرط.

فإننا نقوم بأربعة أمور:عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم بفعل التلفظ (الصوتي، التركيبي)acte d'énonciation ، والملاحظ أنّ هذه العبارات تشترك في المحتوى القضوي acte propositionnel (التدخين المفرط ل"جون") لكن لكل عبارة منها فعل إنجازيacte illocutionnaire (الإخبار، السؤال، الأمر، التمني...) وكل عبارة تخلِّف نتائجَ معينة(الفعل التأثيريacte perlocutionnaire) [8].

إن إدراج الفعل القضوي جاء لتدارك الالتباس الحاصل عند **أوستين** Austin بين فعل التلفظ والفعل الإنجازي فجعل فعل التلفظ يتكون من نظامي التصويت (النطق) والتأليف(التركيب)، أما الجانب الإحالي والمرجعي فيقوم على إدراج المعنى وإدراجه قبل القوة الإنجازية، هذه الملاحظات ساعدت **سيرل** Searle على توضيح الفرق بين الفعل القضوي والقوة الإنجازية، إذ يمكن للمحتوى القضوي الواحد أن يحقق أفعالا إنجازية مختلفة كما تبّين من خلال الأمثلة السابقة، فهي ملفوظات أربعة ذات محتوى قضوي واحد هو (التدخين المفرط لجون)، لكنها من حيث القوة الإنجازية مختلفة من جملة لأخرى ففي الأولى "إخبار"، وفي الثانية "سؤال"، وفي الثالثة "أمر"، وفي الرابعة "تذمر" بطريقة مضمرة.

يميز **سيرل**"Searle" بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري، بأّن هذا الأخير عبارة عن نتائج وآثار تسفر عنها الأفعال الإنجازية في المتلقي، وأّن الأفعال الإنجازية يجب أن تُؤدَّى قصديا؛ ف«إذا لم تقصد أن تعطي وعدا، أو تصدر حكما، إذا فأنت لم تطلق وعدا أو حكما، غير أّن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدى قصديا بالضرورة . قد تقنع شخصا بشيء ما، أو تدفعه إلى فعل شيء، أو تزعجه، أو تحيّره دون أن تقصد ذلك»[9]. فالأفعال التأثيرية قد تكون قصدية وقد لا تكون قصدية، وهي نتيجة مترتبة عن الفعل الإنجازي، فحين يقول المتكلم شيئا ويقصد به معنى ما ويحاول توصيل المتلقي لقصده فإنه إذا نجح في ذلك يكون قد أّدى فعلا إنجازيا.

ترى **أوركيوني**Orecchioni أّن القوة الإنجازية تعني«المكون الذي يعطي للملفوظ قيمته من حيث هو فعل »[10]؛ أي الغرض الذي يتحقق من الفعل الكلامي.

لا تتحقق القوة الإنجازية لأفعال الكلام إلا لكون الفعل التأثيري (قوة لازم فعل الكلام Acte perlocutoire) المفهوم من طرف المستمع، والذي حظي بقبوله يجب «أن ينطبق أيضا على النتائج الدالة على العمل والناجمة عن المضمون الدلالي للملفوظ»[11]، ولهذا الأمر يرى **سيرل** Searle" أنّ المطابقة بين القول والعالم بشرط الإخلاص والنية من أجل نجاح الفعل الكلامي، وتحقيقه القوة الإنجازية المطلوبة الذي يسعى بها إلى تأثير ما داخل العالم.

أّما بالنسبة للقوة الإنجازية للفعل الحجاجي، فليس هناك استدلال حتمي أو فكرة قوية «فلو كان الأمر على هذه الشاكلة، فسنعرف مسبقا الاستدلال الحتمي وسنستخدمه جميعا، أو ما هي الفكرة القوية وسنلجأ إليها جميعا، يمكن أن يخدم استدلال واحد أفكارا متعارضة، ويمكن للفكرة نفسها أن تدرج في استدلالات مختلفة»[12]، فليست الفكرة قوة في حد ذاتها؛ بل يكتسب الفعل الكلامي الحجاجي صحته من المعنى الذي ينتجه داخل سياق تواصلي بين المتخاطبين.

اعتبر **سيرل**Searle" أنّ«كل ملفوظ لساني يعمل كفعل محدد (أمر، سؤال، وعد...إلخ يسهم في إنتاج بعض الآثار، ويعلق بعض التغييرات في الموقف التواصلي، كما اعتبر أن المكون الأساسي للملفوظ الذي يمنحه قوته هو القوة الإنجازية، وبأن هذه القوة تطبق وتضاف إلى المحتوى القضوي للملفوظ»[13].

1- **شروط نجاح الفعل الكلامي:** وضع التداوليون قواعد يحاكم على ضوئها نجاح الكلام أو فشله، ونجاح الكلام يعني تحقيق الهدف التأثيري الذي يرومه المتكلم وبالتالي نجاح الحجاج. وهذه القوانين أسماها **سيرل** Searle شروط النجاح:

1- **الشرط التمهيدي:** وهو شرط تحضيري يسبق أداء الفعل الكلامي، مثلا فعل الشكر يجب أن يكون المتكلم مدركا أنّ المخاطب قد فعل شيئا يعود بالنفع.

ويتحقق الشرط التمهيدي عندما:

أ- يكون المتكلم أو المتلقي "قادرا" على إنجاز الفعل.

ب- لا يكون واضحا لكل من المتلقي أو المتكلم أنّ المتلقي سينجز الفعل المطلوب في المجرى الاعتيادي للأحداث[14]. ومعناه أن يكون المتكلم في الوضع الذي يسمح له بتحقيق الإنجاز؛ أي أن يمتلك الأهلية، كما عليه أن يراعي ظروف مخاطبه واستعداداته. فسياق الكلام والأهلية يتضافران لجعل الكلام ناجحا وموفقا، أو فاشلا.

2- **شرط المحتوى القضوي**: وهذا الشرط «يحتم وجود "قضية" يعبر عنها قول المتكلم الإنجازي، فهذا الشرط لا يتحقق إلا عندما يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى قضية proposition) التي يقوم على متحدّث عنه، أو مرجع reference ومتحدث به prédication»[15]، وهذا يعني أنه يجب مراعاة العلاقة الإسنادية التي تضبط المحتوى القضوي.

3- **شرط الجدية والإخلاص**: «ويتحقق حين يكون المتكلم "مخلصا أو صادقا" في أداء الفعل الإنجازي فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، بعبارة أخرى: لابد أن يكون المتكلم يريد "حقا" أن ينجز الفعل من قِبله أو من قِبل المتلقي»[16] ، فشرط الإخلاص يستوجب:

- أن يكون المتكلم جادا في كلامه.
- أن يكون قاصدا إلى تحقيق إنجازه.

فيجب تنفيذ الفعل بأمانة وإخلاص مثلا فعل الاعتذار يجب أن يتأسف المتكلم على ما فعل، ويجب في شرط الإخلاص الصدق؛ أي أن تكون النوايا والمقاصد صادقة، فلا يقول المتكلم ما يناقض رغباته ومعتقداته.

4- **الشرط الأساسي:** هو أن يكون المتكلم عازما على تحمُّل تبعات إنجازه «ويتحقق حين يكون المتكلم يريد التّأثير في المتلقي لينجز الفعل، وبعبارة أخرى: يُعدّ هذا الشرط "محاولة" حث المتلقي على إنجاز فعل معين»[17]، مثلا في فعل التحذير الشرط الأساسي فيه هو أن يحسب الشروع في عمل مستقبلي أنّه لن يكون في صالح المتلقي.

ينجح الفعل الكلامي في تحقيق التأثير والإقناع الذي يتوخاه المتكلم إذا«تعرَّفَ المستمع على القصد الذي أنجز من خلاله الفعل، فالقصد مكون أساسي في مضمون التلفظات»[18]. حيث ينجح الفعل الكلامي حين يصل المستمع إلى القصد الذي يبتغيه المتكلم ثم يقوم بإنجازه.

وشروط نجاح الفعل التداولي إذا توافرت وفرت اقتناع المتلقي، فتنجح بذلك حجاجية الفعل الكلامي، وبفشلها وعدم قدرتها على كسب تأييد المتلقي أو دفعه إلى العمل أو تغيير موقفه وسلوكه فإنّ دورها الإقناعي يكون فاشلا غير موفق.

فمن شروط نجاح تلقي المقول الشعري«أن يكون السامع على استعداد نفسي لذلك، وأن يعتقد بأنّ الشعر فاعلية تقارب فاعلية الحكمة»[19]، بالإضافة إلى حصول التخييل في ذهن المتلقي الذي يتميز بمحصوله الفكري وثقافته. لذلك يمكن البحث في شروط نجاح الفعل الكلامي في القول الشعري؛ ذلك أنّ المتلقي عموما يبحث عن المنافع التي قد يحملها الخطاب الشعري.

تصنيف سيرل Searle" للأفعال الكلامية: حاول **سيرل**" Searle"تعديل تصنيف **أوستين** للأفعال الكلامية فصنفها بالنظر إلى الهدف الإنجازي إلى خمسة أصناف وهي:

2-1 التأكيديات **(Assertifs)** وتسمى كذلك التقريريات أو الإخباريات: وهدفها تقديم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة في الواقع وتقتضي«تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأنّ شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما»[20]، لكن ليس معناها الوعد أو التعهد كونهما يندرجان ضمن الالتزاميات، بل تأكيد الواقعة أو إثبات الحدث بغية إحراز تصديق المتلقي فقد تكون تفسيرا، وصفا، أحكاما، أو تقريرا .

وتهدف التأكيديات[21] إلى جعل الكلمات تطابق العالم«ومن أمثلتها الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات وتنطوي جميع الإثباتيات على اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق في الإثباتيات هو دائما الاعتقاد، فكل إثبات هو تعبير عن اعتقاد، وأبسط اختبار لتحديد هوية الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقا أو زائفا»[22]، فقد تكون الأفعال الكلامية التأكيدية صادقة أو كاذبة؛ معنى هذا حسب سيرل Searle" أنه حتى الأفعال الوصفية (التي كان يعتقد أوستينAustin أنها غير إنجازية والتي تخضع لمعيار الصدق أو الكذب) هي أفعال إنجازية عند سيرل Searle" تهدف إلى إثبات صحة قول ما بدرجات مختلفة.

وتختلف شدة التأكيديات الحجاجية حسب تنوع أضرب الخبر التي تحدثت عنها البلاغة العربية في علم المعاني، والتي تراعي أحوال المتلقي؛ حيث تزداد قوتها كلما أضاف المتكلم أداة التأكيد، فإن لم يوظف المتكلم أداة التأكيد ذلك أنّ المتلقي يجهل الخبر المقدم له،

واستعمال أداة توكيد واحدة – الخبر الطلبي- تعني أنّ المتلقي قد سمع الخبر لكنه يشك في صحته، أما استعمال أكثر من مؤكد –الخبر الإنكاري- فهذا يدّل على إنكار المتلقي للخبر وعدم تصديقه.

يرى **بروندونر** Berendonner أنّ الإثبات هو «أن نضع القول محلّ الصّدق أو الكذب، ولا يعني إيصال محتوى حقيقة معينة ولكن ضمانها... فالمتكلم يحمل المخاطب على الاهتمام بما يقول كما يفترض مسبقا بأنّه مستعد لتمثيل ما هو مصرح به، ومن ثم فهو طامع في ثقة الآخر»[23]، ومعنى هذا أنّه حتى الأفعال التي كان يسميها أوستين Austin أفعالا وصفية قد تكون إنجازية حجاجية لكون المتكلم يستعملها بقصد جعل المتلقي يصدق القضية المطروحة. كما أنّ كثيرا من الأفعال الإيضاحية والحكميات عند أوستينAustin تتفق مع التأكيديات؛ لأنّ لها نفس الغرض الكلامي.

يقول **رمضان حمود**:[24]

فوَاجِعُ الدَّهْـرِ أَشْكَـالٌ وَأَلْـوَانُ والمَرْءُ عِنْدَ حُلُولِ الخطْبِ وَلْهَانُ
هـي الحَـوَادِثِ لا تَنْفَـكُّ تَـطْلُبُـهُ وفِي الحَيَاة لَهُ حُـبٌّ وَطُغْيَـانُ
يَسْعَى الفَتَى وسُرُورُ العَيْش يَخْدَعُهُ في كلِّ آونَةٍ يَغْـوِيـهِ شَيْطَـانُ
يـا سَادِرًا يَبْتَغِي عَيْشًا بلَـا كَـدَرِ مَهْلًا فَإِنَّـكَ بـالنُّعْمَـاءِ نَشْـوَانُ
فالعَيشُ لا شَكَّ بالوَيْلَاتِ مُـمْتَـزِجٌ وجُمْلَةُ العُـمْرِ أَفـْرَاحٌ وَأَحـزَان

معظم الأفعال الكلامية في الأبيات تأكيدية ذلك أنّ الشاعر يؤكد حقيقة الدهر الذي يمزج الفرح بالحزن ،فحين قال:[25]

يا سَادِرًا يَبْتَغِي عَيْشًا بلَا كدَرِ مَهْلًا فَإِنَّكَ بالنُّعْمَاءِ نَشْوَانُ

فهذا البيت يدخل في صنف التوجيهيات؛ لأنه يجعل المتلقي يتمهل ولا يخدعه سرور العيش ونشوته.

2-2 التوجيهيات **Directifs:** وهدف الأفعال التوجيهية هو محاولة جعل المتلقي يتصرف وفقا لتوجيه المتكلم له، و"يحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء"[26]، غرضها الإنجازي هو جعل المتلقي يفعل شيئا ما للمتكلم يتلاءم مع المحتوى القضوي للتوجيه، مثل الأمر، الطلب، الدعاء وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات «وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائما الرغبة، كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به. والتوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تطاع أو تهمل أو يخضع لها أو تستنكر...إلخ».[27] وتتفق التوجيهيات مع بعض أفعال التنفيذية حسب **أوستين** Austin خاصة في إصدار الأوامر.

تتباين مقاصد المتكلمين وتتنوع بين توجيه المتلقي لإنجاز فعل ما ، أو إقناعه بأفكار أو أفعال ف«كل قول حتى ولو كان لفظا واحدا هو حجة حذف أحد عناصرها»[28]، فالتوجيه والحجاج مقصدان قد يضمرهما المتخاطبون ، كما قد يتم الإفصاح عنهما.

والملاحظ أن **بيرلمان** Perelman **وتيتكا** Tyteca درسا التوجيهيات في إطار حديثهما عن منطلقات الحجاج في القسم الخاص بطريقة عرض المعطيات وشكل الخطاب ف«نجاعة العرض شرط ضروري لكل محاجة هدفها التأثير في جمهور السامعين بتهيئتهم للعمل المباشر سلوكا وبتوجيه أذهانهم وجهة معينة فكرا»[29]. ومن بين طرائق العرض تلك تحدث **بيرلمان** Perelman عن الصيغ التوجيهية في الحجاج وهي: التوجيه الإثباتي والتوجيه الإلزامي والتوجيه الاستفهامي والتوجيه بالتمني، ومن شأن هذه الصيغ أن تستعمل في الحجاج، وصيغة التوجيه الإلزامي هي الأمر،

«لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية، وذلك على عكس ما قد يعتقد، إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الآمر وليس من ذات الصيغة، ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الآمر مؤهلا شرعيا لتوجيه الأوامر»[30]، فمرتبة المتكلم هي التي تجعل لخطابه القدرة الإقناعية وليس في صيغة الأمر في حد ذاتها.

يعد الأمر تقنية من تقنيات التوجيه وفي هذا الصدد يرى **السكاكي** أنه إذا «كان الاستعلاء ممن هو أعلى مرتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل... ثم إنها تولد بحسب قرائن لأحوال ما ناسب المقام، إذا استعملت على سبيل التضرع كقولنا" اللهم اغفر لي وارحم" ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف، كقول أحد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون الاستعلاء ولدت السؤال والالتماس»[31]. فالأمر ليس محكوما بالوضع اللغوي فحسب، فمرتبة المرسل والمقام يسهمان في تحديد نوع الفعل الكلامي الذي تخرج دلالاته واستعمالاته من الأمر إلى أفعال كلامية غير مباشرة كالالتماس والدعاء والسؤال.

وللتوجيه الاستفهامي قوة إقناعية كبيرة كونه «يفترض السؤال ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أنّ اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانا إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء موافقته-إذا أجاب- على ما جاء الاستفهام يقتضيه»[32]. يقول **المولود محمد بن السعيد بن الموهوب**:[33]

إذا جار الزَّمَانُ عَلَيْكَ يَـوْمًا ... فصَبْرًا فالزمَانُ لَهُ مُرورُ
ولا تَنْظُرْ لحَـــادِثَةٍ أَلّمَتْ ... فإنّ القَرْحَ يَتْبَعُهُ السّرُورُ
وكُنْ مُتَمَسِّكًا باللّهِ عَـقدًا ... هو المعْطِي المُدَبِّرُ والخَبِير
عَلامَ المَرْءُ تُزْعِــجُهُ شُؤونُ؟ ... وَيُتْلِفُ عقلُهُ مِنْهُ الغُـرُورُ؟
أَلَيْسَ اليُسْرُ يَأْتِي بَعْدَ عُسْرٍ؟ ... بِذَا أَنْبَأَنا مُـحَمَّدُنَا البَشِير

فَقُلْ لي يَا رَقِيقَ القَلْبِ قُلْ لي أَيُجمَلُ أنْ يُرَى منْكَ النُّفُورُ؟
لَعَمْرُكَ إِنْ تَكُنْ تَبْغي هَنَـاءً تمهّل دُونَ عُــسْرِكَ عَسِيرُ
تجرعْ مرَّ صبرٍ فَهُوَ صَعْبٌ فإنّ حلاوة الصَّبْـرِ الأَخِيرُ
ودَعْ شَكْوَاكَ للمَخْلُوقِ واشْكُرْ إِلَهًا شُكْرُهُ للقَـلْبِ نُـورُ

ففي هذه الأبيات أفعال توجيهية حيث استعمل الشاعر الطلب عن طريق القوة الإنجازية: النهي(لا تنظر) وكذا القوة الإنجازية الأمر (كن، قل لي، تمهل، تجرع، دع، واشكر) كما استعمل صيغة المفعول المطلق (صبرا، وتقديرها اصبر صبرا) داعيا مجتمعه إلى الصبر إذا جار الزمان، فإنّ الأيام لابد أن تنقلب ويزول حينئذ ما قد يكدر صفو العيش، وقد وظف الشاعر كذلك أفعالا عرضية توضيحية من خلال الاستفهام التقريري: "أليس اليسر يأتي بعد عسر؟" والاستفهام الإنكاري(فعل كلامي غير مباشر) "أيجمل أن يرى منك النفور؟" وتظهر التأكيديات من خلال أدوات التوكيد وفاء السببية؛ حيث تتضافر هذه الأفعال الكلامية مجتمعة لتحقيق الهدف الإنجازي ومقصدية الشاعر الهادف إلى تغيير بعض الصفات في المتلقي.

2-3 الالتزاميات Commissifs: والغرض الإنجازي للالتزاميات هو التزام المرسل بدرجات متفاوتة بإنجاز فعل ما في المستقبل، ومن أمثلة الالتزاميات «المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات ...[وهي] ضد مصلحة المستمع ولا يعود عليه بالنفع ... وشرط الصدق المعبر عنه هو دائما القصد على سبيل المثال كل وعد أو تهديد هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما»[34]، واتجاه الملاءمة فيها هو أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند "**أوستين**"Austin . والالتزاميات مثل التوجيهيات لا يمكن أن توصف بالصدق أو الكذ؛ بل يمكن أن تُنفذ أو يُحنث بها. ومن أمثلة الالتزاميات قول **رمضان حمود**:[35]

فإنْ دُمْتُمْ فيمَا أَرَى مِنْ تَخَاذُلٍ فلَنْ تبْلَغُوا- واللّه- أَعْلَى المَرَاتِبِ

ففي سياق حديث الشاعر عن سبيل استعادة المجد والمفاخر يندد بالتقاعس والتخاذل عن نيل الفضائل والعلا مستعملا فعل الالتزاميات يحققه فعل التهديد (فلن تبلغوا) ومزجه بفعل تعبيري –حسب **سيرل**Searle ، سلوكي حسب **أوستين -** من خلال القسم (والله).

وفي إطار حديثه عن أعلى المراتب والمنازل يقول **رمضان حمود**[36]:

وما المَرْءُ إلا بالعُلومِ مُعَظَّمُ ولا نَالَ بالإهْمَالِ أَعْلَى المَنَازِلِ

ففي صدر البيت فعل توجيهي –وهو فعل كلامي غير مباشر- جاء باستعمال أسلوب الحصر، ويقصد الشاعر (اطلب العلم لتنال عظمةً)، وفي عجز البيت استعمل فعلا التزاميا من خلال التهديد (إن أهملت العلم فلن تنال أعلى المراتب) .

كما يقول **رمضان حمود**:[37]

ومَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الرّدَى بِنِضَالِهِ سَيَشْكُو الأَذَى والدَّمْعُ منْ عَيْنِهِ يَجْرِي

فالشاعر هنا كذلك يدعو إلى النضال (بفعل كلامي غير مباشر توجيهي) هذا في صدر البيت الذي يمثل الشرط أو السبب أما في عجزه الذي يمثل الجزاء أو نتيجة للمقدمة الصغرى تهديدا ووعيدا (سيشكو الأذى والدمع من عينه يجري) إنه فعل كلامي التزامي هذه النتيجة ستصبح بدورها مقدمة كبرى لفعل استنتاجي آخر يترك مهمته للمتلقي (إذن عليَّ أن أناضل حتى الموت).

4-2 **التعبيرياتExpressifs:** والهدف من التعبيريات هو«التعبير عن حالة سيكولوجية محدّدة»[38]، وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النية والصدق في محتوى الخطاب؛ أي التعبير عن شرط صدق الفعل الكلامي

ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم مواساة وترحيب، يقول **سيرل**Searle :«والنماذج على التعبيريات هي الاعتذارات والتشكرات والتهاني والترحيبات والتعزيات والمحتوى الخبري في التعبيريات من الناحية النمطية ليس له اتجاه ملاءمة؛ لأن حقيقة المحتوى الخبري يسلم بها فحسب»[39]، فلا يجعل المتكلم- بالتعبيريات - الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقا للكلمات، و«في حالة التقدير Appréciation فإنّ المتكلم لا يحكم على أقواله من وجهة نظر واحدة وهي درجة تحققها ولكنه بأحكام قيمية وبموقعها إزاء مجموعات متقابلة الحسن/السيء، المدح/الذم إلى جانب العبارات التي تخلو من الضمائر ... كقولنا: إنه مسرور، إنه لا يحتمل...وظروف الجملة: لحسن الحظ...واحسرتاه... وأنواع الشتم... ولو بلفظة واحدة يمثل قولا مثل: خسيس... تنّل على نوع من السلوك وتحمل المتكلم على اتخاذ موقف إزاء المخاطب مثلها مثل الأفعال (أهنئك، أشكرك...)»[40].

وهذا يعني أنّ التعبير عن الحالة السلوكية لا يكون فقط بالأفعال؛ بل كذلك بالنداء الذي يفيد الندبة أو المصدر الذي يمثل حكما من أحكام القيمة، أو الجمل الاسمية ... المهم أن تدلّ على موقف المتكلم التعبيري، والملاحظ أنّ التعبيريات توافق إجمالا السلوكيات في تصنيف أستاذه "أوستين"Austin .

يقول رمضان حمود:[41]

كَفَانَا كَفَانَا فالحَيَاة تَـبَدّلَـتْ ألَا اختارُوا مَا يَحْلُو بخَيْرِ الوَسائِلِ

فسيرُوا حَثِيثًا، واسْتَرِدُّوا فِخَارَكُم فبئْستْ حيَاة المَرْءِ تَحـتَ الأدَاهِمِ

تظهر الأفعال التعبيرية في قوله (بئست حياة المرء...) لأنّ الشاعر يذم الذل والهوان، ودور هذا الفعل الحجاجي هو تحقيق الفعل التأثيري عن

طريق جعل المتلقي يخجل من فعل الذم هذا؛ بل ويحس بتأنيب الضمير، فينهض للتغيير، ويستعمل الشاعر الأفعال التوجيهية المباشرة تجسدها أفعال الأمر(اختاروا ،سيروا، استردوا) حاثا المتلقي على طلب الفضائل والعلا، واستعادة المفاخر الوطنية.

2-5-التصريحيات Déclarations: والغرض الإنجازي من التصريحيات هو: إحداث تغيير في الواقع عن طريق الإعلان، واتجاه المطابقة فيها مزدوج جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح، ألاحظ ..«وتنفرد التصريحات بين الأفعال الكلامية بكونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي[42]».

ومن أمثلة التصريحات يقول **رمضان حمود** :[43]

إن سَالَمَتْكَ اللَّيَالِي، فارْتَقِبْ حَرْبًا فَصَمْتُهَا هُو الإِنْذَارُ إِعْلَانُ

يرى الشاعر أنّ الحياة إن سرتك حينا فهي تعلن الحرب؛ لأنّ العمر تمتزج فيه الأفراح والأحزان. ونلاحظ أنّ اتجاه المطابقة المزدوج بين الواقع والكلمات مجازية فالإعلان هنا جاء على لسان الحياة. والفعل التأثيري جعل المتلقي يقتنع بعدم الانخداع بسرور العيش.

ويمكن تلخيص تصنيف **سيرل**Searle" كما يلي: «لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياءً ونلزم أنفسنا بفعل أشياءٍ، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد»[44] ، وإنّ قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي

التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر أو الوعود...أو غير ذلك.

قد يكون لأفعال الكلام دورا حجاجيا وقد لا يكون لها ذلك الدور، وهذا الأمر يتوقف على غرض الخطاب والاستراتيجية التخاطبية التي يتوخاها المرسل في خطابه ف«يبدو أنّ الإيقاعات الابتدائية (أو جل ألفاظ عقود) ليس لها ذلك الدور في كثير من مقامات الإيقاع الابتدائي، بخلاف التقريريات (خاصة التأكيد والادعاء) لكن بعض الإيقاعات (مثل فعل الشهادة) لها دور حجاجي إذا ما توفرت لها الشروط التحضيرية التي تحدث عنها **سيرل**Searle" والأمر في الأخير محكوم بالأغراض التخاطبية التي كثيرا ما تكون فيصلا في إثبات حجاجية فعل الخطاب من عدمها»[45]. إذن قد يكون اختلاف المعنى راجع إلى استخدامين مختلفين للفعل الكلامي.

وحسب تصنيف **سيرل** Searle" الذي يفرق بين خمسة أقسام للإنجاز: الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، التعبيريات، والإعلانيات ، نلاحظ أنّ التوجيهيات والالتزاميات هي الأكثر ارتباطا بالحجاج؛ لأنّ الغرض الإنجازي للفعل الكلامي الذي يبتغيه متكلم ما بمنطوقه من خلال التوجيهيات: ينبغي أن يحمل السامع على فعل عمل شيء ما أو إنجازه، والالتزاميات أيضا غرضها أن يلزم المتكلم نفسه بفعل ما في المستقبل، فيلتزم بسلوك معين.

ولكل من الأفعال الإنجازية وظيفة، فوظيفة التأكيديات هي العرض والإبلاغ، وتأكيد الخبر وإحراز التصديق، أما التعبيريات فوظيفتها التعبير والوصف، في حين أن وظيفة الإعلانيات أو التصريحيات هي الإعلان والتصريح بموقف ما، بينما التوجيهيات فوظيفتها الاستثارة

والتأثير، كما أنّ وظيفة الالتزاميات هي الالتزام بفعل شيء ما في المستقبل عبر الوعد أو التهديد.

- الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة:

كثيرا ما يراد بالأسلوب غير ما تلفظ به، فلا يؤدي الخبر الإفادة ولا الأمر والنهي طلب الفعل، ولا الاستفهام طلب العلم بكنه شيء لا يعلمه السائل، إذ تأتي لتأدية أغراض ومعان لا يعبر عنها باللفظ؛ بل يفهمها المتلقي من السياق عن طريق إجراء عمليات ذهنية، والاستعمال هو الذي يميز القول الصريح عن الضمني.

يقول **سيرل**Searle «يوجد بعض المواقف (الحالات) التي يتمكن المتكلم من خلالها من قول جملة وهو لا يريد بها معناها الظاهر، ويدل ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير»[46]، ثم يردف ذلك بمثال... فيقول: "يمكن للمتلفظ أن يتلفظ بجملة: هل بإمكانك أن تناولي الملح؟ ولكنها لا تدل على المعنى الظاهر والممثل بالاستفهام، بل يتم فيها الانتقال من المعنى الظاهر (الصّريح) إلى معنى آخر، وهو الطلب بتقديم الملح[47].

إنّ إنجاز الأفعال الكلامية قد يكون بالمعنى الحرفي المصرح به في الجملة، كما قد يكون إنجازها ضمنيا غير مباشر ف«لا تؤدى جميع الأفعال الكلامية بنطق جمل يعبر معناها الحرفي عن المعنى الذي يقصده المتكلم... [فقد] يؤدي.. المرء فعلا كلاميا بصورة غير مباشرة ... تسمى بالأفعال الكلامية غير المباشرة وهناك أنواع أخرى من الحالات، حيث يختلف معنى الجملة نسقيا عن المعنى الذي يقصده المتكلم، تشمل الاستعارة والكناية والسخرية والتهكم والتهويل والتهوين»[48]. والأفعال الكلامية المباشرة «هي التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن

ينجزه مطابقة تامة، والدالة على قصده بنص الخطاب وذلك يتبلور في المستوى المعجمي وكذلك في المستوى التركيبي»[49] ، بيد أنّه يمكن للمتكلم إنجاز فعلٍ خطابيٍ دون تصريح بإنجازه وبهذا يتفق مع أوستينAustin بأنّ هذه الطريقة الطبيعية للمخاطب لا يلجأ إلى الصيغة التصريحية إلا إذا استدعى السياق ذلك ومثال الملفوظين الآتيين:

(1) إنها تمطر

(2) إني أبلغك أنها تمطر.

في الملفوظ (1) ثمة إبلاغ وإخبار، أما في الملفوظ الثاني (2) فالمرسل لا يكتفي بإخبار المرسل إليه؛ بل يضيف تنبيها إلى أنه قد بلغه الرسالة، وقد يتجاوز ذلك مجرد التنبيه إلى الإشارة إلى المتلقي باتخاذ الاحتياطات كارتداء المعطف مثلا.

ثمة بعض الأفعال الكلامية التي تتحول حال التلفظ بها من الإنشاء إلى وضع الخبر مثل (أنهاك عن كذا) بدل (لا) وقد تتجلى الأبعاد التداولية في كيفية استعمال الملفوظات حينما يتعلق الأمر بصيغ الآداب؛ حيث إن «ملفوظات الآداب ترمز للعلاقة بين المرسل وبيننا بوصفنا مرسلا إليه، فقد تتوقع من شخص لا نعرفه، معرفة جيدة، أن يصوغ طلبه قطعة ورقة على الشكل الآتي: رجاءً هل يمكن أن تعيرني قطعة صغيرة؟ في حين قد يصوغها شخص آخر لنا به معرفة وطيدة كالأخ الأكبر بطريقة مباشرة فيقول: أعطني قطعة ورق، وطبيعة علاقتنا بالأشخاص هي التي ستحدّد ردود أفعالنا، فإذا تلفظ الشخص الذي لا علاقة لنا به بالصيغة التي يفترض أن تكون صادرة عن الشخص الذي نعرفه سيحدث سوء فهم وسيزعجنا لفظه»[50].

قد يكون الخطاب مباشرا أو تلميحيا؛ لذلك مّيز "**سيرل**"Searle" بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها؛ غاية القول، توجيهه، وحالته السيكولوجية [51]وسّماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة ل"غرايس"Grice، ودلالة الجمل على الشرط أو الاستفهام أو النفي تتم باستخدام الأداة التي تحمل وظيفة الجملة أو الأسلوب، فهذه الجمل في الحقيقة «لا يدرك معناها الوظيفي إلا باستخدام الأداة الخاصة بذلك المعنى، باستثناء جملة الإثبات وجملة الأمر حيث يتم ذلك عن طريق الصيغة»[52]، تلك الأدوات تؤدي إلى إنجاز أفعال كلامية مباشرة كما قد تؤدي أفعالا كلامية غير مباشرة.

وبالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد «يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي؛ مثلما هو الشأن في التلميحيات والسخرية والاستعارة وحالات تعّدد المعنى...»[53]، تمثّل الاستعارة والأقوال المجازية فعلا كلاميا غير مباشر ومن أجل تفسير الجملة الاستعارية مّيز "**سيرل**"Searle" بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذان المعنيان لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخرا، ولقد «حّدد "سيرل" مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة)، ورأى أّن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم.[54]

ويعّد الاستفهام من الأفعال الكلامية التي يستعملها المتكلم لأغراض حجاجية إقناعية؛ قد يكون فعلا كلاميا مباشرا يقصد منه جوابا صريحا من طرف المتلقي، وبالتالي إجباره على المشاركة في الحوار وتوجيهه، وقد يكون فعلا كلاميا غير مباشر؛ إذ «إّن طرح السؤال يمكن

أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطّف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف، إذا كان المخاطَبُ يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم»[55]، فقد لا يكون قصد المتكلم من سؤاله البحث عن جواب؛ بل إقرار أمر، أو طلب شيء... وهو ما عبّر عنه أصحاب التداولية بالفعل الكلامي غير مباشر. ومن أمثلة الأفعال الكلامية غير المباشرة قول **رمضان حمود**:[56]

سمعت أنَّ السِّجْنَ أَضْيَقُ مِنْ قَبْر فأَلْفَيْتُ قَعْرَ السِّجْنِ أحْسَنُ من قَصْر
فمَاذَا يُفيدُ القَصْرُ والقَلْبُ حائِرُ وماذا يَضُرُّ السِّجْنُ مَنْ كَانَ ذَا قَدر؟

فالشاعر من خلال الفعل التأكيدي في البيت الأول بعد الإثبات ينفي ضيق السجن مستعملا جملة خبرية يقصد بها النفي دون استعمال أداة نفي، فهو فعل كلامي غير مباشر في ظاهره إخبار ولكنه يقصد به النفي؛ لأنه يفهم منه تقبل الشاعر للسجن الذي يتعرض له المناضل الأصيل، ويعتبر ذلك بديلا طبيعيا لحالة الذلّ والخنوع، ولو كانت داخل القصور الفخمة، فهو يخبر المتلقي ويؤكد له أنه بعد تجربته الخاصة وجد السجن أحسن من قصر؛ فبالرغم من الآلام والمحن والسجن يدعو إلى الإصرار على النضال والثبات على الكفاح بطريقة مضمرة،كون السجن لا يضره في شيء؛ لأنه صاحب مبدأ سامي، موظفا الاستفهام بالأداة ماذا" مرتين ، وكان هذا الاستفهام إنكاريا يجعل المتلقي يجيب بالنفي والإنكار، وبالتالي توجيهه الوجهة التي يبتغيها الشاعر.

وقد يكون الاستفهام سؤالا محضا (فعلا كلاميا مباشرا)، وقد يكون إنكاريا أو تقريريا أو توبيخا، وقد يقصد من الاستفهام طلب التصديق، وهو فعل إنجازي حجاجي يهدف إلى التأثير في المتلقي ليدعم رأي المتكلم.

فحينما يكون استفهاما محضا فهو فعل كلامي مباشر يقصد به المتكلم استفسارا وطلبا للإجابة، أما حينما يكون تقريريا أو إنكاريا أو توبيخا... فيؤدي بذلك أفعالا كلامية غير مباشرة؛ ويتم تحديد نوع الاستفهام بحسب غرضه في سياقه التواصلي، حيث يكون التقرير حين يعلم المتكلم مسبقا بأن المتلقي لا يخالفه في الإجابة، وحين يتوقع المتكلم إجابات المتلقي، تكون أسئلته أكثر إقناعا.

ومعنى الاستفهام التقريري «حملُك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عندك»[57]. وتكمن وظيفة هذا النوع من الاستفهام في الحجاج أنه يستوجب من المخاطب إعمال ذهنه، حيث يعلم مسبقا أنّ المتكلم لا يقدم له هذه الأسئلة بغرض الإجابة، فإنه يبحث فيما يقتضيه الاستلزام الحواري للأسئلة المطروحة؛ ومن هنا تكون «الأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه»[58]،

وتظهر الاستفهامات التقريرية كذلك في قول **رمضان حمود**:[59]

أتَحْسَبُ العُمْرَ شيئًا لَا فنَاءَ لَهُ؟ لاَ تَغْتَرِرْ، فَغُرُورُ المَرْءِ خُذْلَانُ

فالشاعر يعرف مسبقا أن المتلقي لا يخالفه الرأي في الإجابة، فهو يسعى إلى تأكيدها وتقريرها لذلك فليست سؤالا محضا؛ بل فعل كلامي غير مباشر إنه استفهام تقريري.

ومن معاني الاستفهام إلزام المتلقي الإجابة والتزام المتكلم التيقن من المحتوى القضوي، أما الاستفهام الإنكاري فيقوم «على المحافظة على الإلزام بالإجابة دون التزام بعدم اليقين؛ بل إنّ المستفهم المنكر يعتقد في خلاف المحتوى القضوي، ولكنه يترك للمخاطب التصريح به وتقريره ليكون الإلزام من جهتين: جهة الإجابة بحسب قواعد المحادثة وآدابها، وجهة تبني وجهة نظر المتكلم التي لم يعرضها مثبته أو على سبيل توكيد

الإثبات حسب ما يقتضيه مقام الإنكار»[60]. فيستعمل المتكلم الاستفهام الإنكاري لإلزام المتلقي بالإجابة التي لم يصرح بها.

يقول **رمضان حمود**:[61]

عَلَام نَلُومُ الدَّهْـــر واللّهُ عَـادِلٌ ونَنْسبُ للأيَّامِ مـــا هُو بَـاطِـلُ؟
ونَمْلأُ وَجْهَ الأَرْض رَطْباً ويَابِسًا بُكَاءً وهَلْ تُجْدِي الدُّمُوعُ الهَوَاطِل؟...
ونَبغِي حَيَاة العِزِّ والجَهْلُ دَأْبُنا وهَلْ نَالَ عِزًا فِي البَسِيطَة جَاهِل؟...
فَكَيْفَ يَقِينَا اللّهُ مـن سُوءِ بَطْشِهِ ومَـــا هُوَ عَمَّا يَفْعَلُ العَـــبْدُ غَافِلُ

وقد استعمل الشاعر مختلف الأدوات اللغوية من الاستفهام(علام، هل، وكيف) التي ربطت بين تراكيب خطابه، وأسهمت في انسجامه وفي جعله خطابا حواريا بينه وبين المتلقي مبنيا على المساءلة،كما أسهم تنويع أدوات الاستفهام في تنويع الأفعال الكلامية؛ بل وكانت الحجج بعينها، فاستعمل الاستفهام الإنكاري"علام، وهل، وكيف" والشاعر لا يقصد بها السؤال؛ بل الإنكار ولا يطلب من المتلقي الإجابة بنعم أو لا؛ بل إن طرح هذا الأسئلة تمثل أفعالا كلامية غير مباشرة.

وكان قصد الشاعر حجاجا ضمنيا، فامتزجت التأكيديات مع التوجيهيات؛ لأنّ الشاعر يؤكد ويوجه في الآن ذاته، فهو يستعمل استفهاما إنكاريا لينفي المحتوى القضوي (فعل كلامي غير مباشر) ويلزم مخاطبه على الإجابة الآتية: أنه لا ينبغي أن نلوم الدهر ولا أن ننسب للأيام ما هو باطل؛ لأنّ الله عادل في قضائه، كما أنّ البكاء لا يجدي نفعا، ولن يقينا الله سوء بطشه؛ لأنه ليس غافلا عما يفعل العباد، كما تظهر التأّكيديات بالإخبار والنفي (والله عادل... ونملأ وجه الأرض رطبا ويابسا... ونبغي حياة العز والجهل دأبنا... وما هو عما يفعل العبد غافل)، وهذا يدلّ على أنّ الشاعر يقّرر الحالة الراهنة ويثبتها ولا يخرج

نفسه من دائرة الاتهام حين يستعمل ضمير الجمع (نحن) ثم يجعل المتلقي ينكرها فيغير ما بنفسه، ليستقيم أمره، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وهذا كله من أجل تحقيق الفعل التأثيري.

ومن خلال التحليل الحجاجي للخطاب الشعري وفق تصنيف سيرل لأفعال الكلام نجد أنّ استعمال الشاعر للتأكيديات يقوم على الإيضاح والإفهام وتقرير الفكرة والاحتجاج لها وتأكيدها بغية إحراز اقتناع المتلقي بالفكرة المطروحة، وحينما تدل العبارة على غرض التعبيريات؛ أي تلك الأفعال التي يكون الغرض الإنجازي منها هو التعبير عن الحالة النفسية، مثل الشكوى، الاعتذار، السرور، أو الألم... فإنّ البعد الحجاجي لهذه الأفعال يظهر بشكل جلي في غرض الوعظ محققا بذلك فعلا كلاميا غير مباشر.

يمكن تحليل حجاجية الفعل الكلامي سواء أكان مباشرا أو غير مباشر، وتكون حجاجية الفعل الكلامي غير المباشر أشد قوة من المباشر؛ كون الأول يقوم على التلميح وعلى تضمين القول واستدراج المتلقي عن طريق الاستلزامات الحوارية، أو الاستدلالات التي توجه المتلقي الوجهة التي يبتغيها الشاعر، كما قد تظهر حجاجية الفعل الكلامي في الأفعال الكلامية المباشرة (الوعظية)؛ لأنّ وصف الوضع الراهن المؤلم من قبل الشاعر ينبني على تحقيق غاية حجاجية لا محالة.

-الهوامش

[1] voire Patrick charaudeau. Dominique Maingueneuv. Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, VIème, P 16.-.

[2] جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي) ترجمة سعيد الغانمي ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، المركز الثقافي العربي، ط1 2006م - 1427هـ، ص.151

[3] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص.164

[4] Jaque Moeshler, Antonie Auchlin, Introduction à linguistique contemporaine, p 138.

[5] ينظر علي محمود حجى الصراف:في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص.57

[6] جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ترجمة سعيد الغانمي ص.24

[7] نفسه، ص 157-.158

[8]Voir J.Searle, les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage, 1996, P.60-62

[9]جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي. ص.203

[10] Catherin cerbrat Orecchioni , Les actes de langage dans le discours théorie et fonctionnement, Edition Nathan ; Paris 2001,P.16

[11]جاكوبسون، مونانن ميبكي، هابرماس، التواصل نظريات ومقاربات، تصدير عبد الكريم غريب، ترجمة عز الدين خطابي، زهور حوتي،ص.29

[12]باتريك شارودو ، الحجاج وأشكال التأثير ترجمة ربيعة العربي، ص.295

[13] Catherin cerbrat Orcchioni, les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, P16.

[14] علي محمود حجى الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 52-53

[15]نفسه، ص52.

[16]نفسه ص.53

[17] م س ص.53

[18] يوسف السيساوي : المقاربة التداولية للإحالة ضمن كتاب التداوليات، علم استعمال اللغة : حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1432،1-2011 ، ص.467

[19] خليفة بوجادي: الشعر من (فن القول)إلى (مبدأ التعاون) –نحو مدخل تداولي، مجلة الن(ا)ص، ص.218

[20]ينظر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص.123

[21] ترجم الدكتور سعيد الغانمي مصطلح Assertifs*بالإثباتيات، يُ نظر جون سيرل* العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص217-218 فيما اعتمدنا نحن مصطلح التأكيديات.

[22] جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ترجمة سعيد الغانمي، ص217-218.

[23]ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، ص127-128.

[24] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره، ص.45

[25] نفسه ص.45

[26] ينظر الشهري،استراتيجيات الخطاب، ص.123

[27] جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص.218

[28] طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص.255

[29] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات،ص.33

[30] نفسه ، ص.38

[31] مفتاح العلوم، ص428.

[32] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص.38

[33]محمد الطمار: الأدب الجزائري الحديث، ص.344

[34] جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص.218

[35]شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص.174

[36] نفسه ج1، ص.174

[37] نفسه، ص.176

[38] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،ص.234

[39] جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص.219

[40] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص.128

[41] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص174.

[42] جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص219-220.

[43] محمد ناصر: رمضان حمود حياته ومآثره ص.171

[44] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص237-238.

[45] مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ص61.

[46] J. Searle, Sens et expression, traduction : Joëlle Proust, Edition de minuit, Paris (1972), P. 71.

[47] Voire. I bid P. 71.

[48] جون سيرل : العقل واللغة والجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ص220-221.

[49] جيرار دولودوال: جدويل ريطوررري: التحليل السيميوطيقي للنص الشعري: ترجمة عبد الرحمن بوعلي، ط1، مطبعة المعارف الجديدة 1994، ص31-32.

[50] نفسه، ص25.

[51] ينظر فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص63.

[52] حلمى خليل :الكلمة دراسات لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية ،الطبعة الثانية، ص.62

[53] فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، ص68

[54] معنى منطوق المتكلم: هو ما أسماه عبد القاهر الجرجاني "بمعنى المعنى"، الاستعارات هي أفعال كلامية غير مباشرة لأنها تحمل معنيين معنى ظاهر وآخر خفي يُستدل عليه.

[55] الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص483-484.

[56] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص.176

[57] مكلي بوشامة : الحجاج في شعر النقائض، دراسة نصين لجرير والفرزدق، دار ميم للنشر ، الجزائر 2010. ص.67

[58] الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص.484

[59] محمد ناصر : حمود رمضان، حياته وآثاره، ص.183

[60] شكري المبخوت تحليل حجاجي لظاهرة بديعية ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج والمراس الجزء4، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010م، ط1،ص.163

[61] صالح خرفي: حمود رمضان ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، ص89-90.